مقاومة القطاع الملتهب

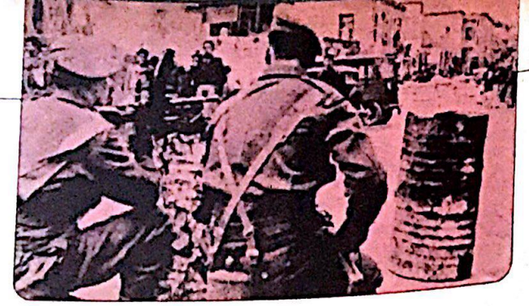

اذا كان تاريخ الشعب الفلسطيني هو تاريخ الشعب المكافح والمقاتل ، فتاريخ جماهيرنا في غزة يعطي الشكل الارقى لهذا الكفاح والنضال ، فلقد كانت غزة دوما راس الرمح الذي يتصدى للقوى الغازية للاراضي العربية من الجنوب ، والصخرة الاخيرة التي يتحطم عليها الغزاة القادمون من الشمال .

وفي تاريخ نضال الشعب العربي الحديث سطرت جماهيرنا في غزة اروع قصص النضال ضد الغزاة الصهاينة مشكلين بذلك النواة الحية للشعب المسلح الذي يناضل من اجل تحرير الارض والانسان ، هذه النواة التي لا شك ستنمو لتصبح طليعة الشعب العربي في نضاله من اجل التحرر والديمقراطية .

شكل قطاع غزة ، جسما مستطيل الشكل على الساحل الفلسطيني الجنوبي الذي يطل على البحر الابيض المتوسط حافة الاراضي الخصبة التي تطل على كثبان الرمال في صحراوي النقب وسيناء .

ولم يكن عدد سكان غزة في عام ١٩٤٨ – اي قبل الاحتلال الصهيوني للجزء الاكبر من ارض فلسطين – يتجاوز التسعين الفا . الا ان الحملات الصهيونية الارهابية التي شنت على مدن الساحل الفلسطيني وقراه ، وحملات الترحيل الاجباري التي قامت بها العصابات الصهيونية بالتواطؤ مع السلطات البريطانية ، اضافت الى سكان القطاع جموعا من اللاجئين نادت اقتصاديات القطاع تحت جسامة حجمهم .

ورغم ان حملات « الترحيل بالقوة » هذه بلغت قمتها بنهاية عام ١٩٤٨ ، الا ان هذا لم يعن توقف العصابات الصهيونية عن اتباع هذا الاسلوب ، فلقد استقاق سكان عسقلان العربية ذات صباح من صيف عام ١٩٥٠ على اصوات نيران اسلحة جيش « الدفاع » الاسرائيلي ليواجهوا بالتهديد المسلح بان عليهم ان يركبوا حافلات الجيش التي تقلهم الى حدود قطاع غزة حيث انزلوا وبدأوا باطلاق النيران فوق رؤوسهم صارخين فيهم : « اهرب » .

هل كانت هذه نهاية عمليات الترحيل الاجبارية ؟

كلا .

ففي عام ١٩٥٩ طردت السلطات الصهيونية وبالقوة المسلحة طبعا عدة مئات من عرب النقب ونقلتهم الى حدود قطاع غزة والى الصحراء الاردنية .

لقد ضاعفت هذه الجموع من المرحلين عدد سكان القطاع حتى قارب ٥٠٤٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٨ . شكل اللاجئون نسبة كبيرة من عدد السكان هذا فقد بلغ عددهم في نفس العام ما يقارب الـ ٣٠٠٤٠٠٠ نسمة .

وعلى اثر هذه الهجرة اقيمت عدة مخيمات في قطاع غزة لتحتوي هذه الالاف .

١ – مخيم جباليا ، يقع شمال شرق جباليا ، مساحته ٥٠٠ دونم

٢ – مخيم الشاطيء ، يقع على شاطيء القطاع الشمالي ، مساحته ٤٥٠ دونم .

٣ – مخيم البريج ، يقع جنوب غزة المدينة ، مساحته ٣٥٠ دونم .

٤ – مخيم النصيرات ، يقع مقابل مخيم البريج ، مساحته ٢٨٠ دونم .

٥ – مخيم المغازي ، يقع جنوب مخيم البريج مساحته ١٨٠ دونم .

٦ – مخيم دير البلح ، يقع غرب دير البلح ، مساحته ١٥٠ دونم .

٧ – مخيم خان يونس ، يقع غرب خان يونس مساحته ٥٠٠ دونم .

٨ – مخيم رفح ، يقع شمال غرب رفح البلد، مساحته ٧٠٠ دونم .

الكثافة السكانية في المخيمات ١٠٠ فرد لكل دونم (كل الف دونم يساوي كيلومتر مربع واحد)

المعيشة في القطاع

يعتمد اقتصاد القطاع بشكل رئيسي على الزراعة ، وخاصة زراعة الحمضيات وبعض الصناعات الخفيفة ، اي اقتصاد لا يستطيع تحمل هذا الضخ الهائل من القوى البشرية الذي تم بعد عام ١٩٤٨ فانتشرت البطالة في اول فترة ، وقد حاولت وكالة الغوث اقامة مشاريع من اجل امتصاص هذا العدد الهائل من القوة العاملة الا ان معظم مشاريعها كانت ذات طابع مؤقت وفي قطاع الخدمات (شق الطرق وحفر المجاري الخ) اي ان تلك المشاريع لم تكن ، في اغلبيتها الساحقة ، مشاريع انتاجية .

ولكن في نفس الوقت الذي بدىء فيه باقامة مخيمات اللاجئين في قطاع غزة بدأت الحضرات تتم من اجل القيام بعمل مسلح ضد اسرائيل على شكل حرب عصابات .

وبدأت العمليات تتم عبر خطوط الهدنة. وقام الفدائيون بالكثير من العمليات ضد مستعمرات العدو الصهيوني ونوغلوا وراء خطوطه وكبدوه خسائر في الارواح والمعدات . وقد شعر الصهاينة بخطورة الموضوع وخطورة افلاته في وقت مبكر(١) ، فقاموا بعملة انتقامية في ليل الثامن والعشرين من شباط ١٩٥٥ هاجموا خلالها الانشاءات العسكرية المصرية في ضواحي غزة ، ولقد قتل خلال هذه العملية ٣٨ شخصا وجرح ٣١ ..

جاءت هذه العملية لتكون حلقة في سلسلة العمليات الحربية الانتقامية الاسرائيلية ضمن المخطط الصهيوني المرسوم عام ١٩٤٨ ، بدأت اسرائيل تنفيذ هذا المخطط عام ١٩٥٣ ، كان الهدف منه الضرب في العمق وراء الحدود العربية لانهاء القوات العربية عاجزة عن التحرك و « ناديب » اي قوة تفكر في التحرك ضدها ، او في تشجيع « المخربين » .

كانت نتيجة هذه الهجمة تزايدا ملحوظا في العمليات الفدائية ضد العدو الصهيوني ، ولقد تبع هذا التزايد والتصعيد في الكفاح المسلح والعمليات الفدائية مزيد من غارات الانتقام الاسرائيلية .

وقد شهد شهر آب ١٩٥٥ بدأبة « كفاح مسلح » منظم وواسع النطاق عبر حدود غزة ، ولقد تميزت فترة الاربعة عشر شهرا التي تلت بضربات العمق حيث استطاع الفدائيون العرب من الوصول الى اعماق فلسطين المحتلة . ولقد روعت عمليات هؤلاء الابطال العدو الصهيوني ، ورغم محاولات العدو للتقليل من خسائره واهمية عمليات الفدائيين هذه فقد اعلن العمل الثوري عن نفسه واضطر العدو للاعتراف بالقليل من هذه العمليات(٢) .

(١) جريدة « هآرتس » اعداد شهري شباط وآذار عام ١٩٥٥ .

(٢) راجع « اسرائيل والشرق الاوسط » عدد خاص – رقم ٢٠١ – ١٩٥٦ .

العدوان الثلاثي

في التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول عام ١٩٥٦ قامت القوات الصهيونية باحتلال كامل قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وجزء من خليج العقبة وبقيت القوات المحتلة في المناطق العربية حتى السابع من آذار عام ١٩٥٧ .

خلال فترة الاحتلال هذه قاومت جماهيرنا الباسلة في القطاع اللاهب العدو مقاومة عنيفة رغم كل وسائل الارهاب والبطش الاسرائيلية والجرائم الجماعية التي ارتكبت بحق المدنيين .

فلقد قام العدو الصهيوني عام ١٩٥٦ بارتكاب جرائم شبيهه بالجرائم التي ارتكبها النازيون ضد السكان المدنيين ، ولقد ركز العدو جرائمه على اللاجئين المتواجدين في القطاع البطل .

والامثلة كثيرة على هذه المذابح :

■ جريمة المحرقة ■

والمحرقة منطقة نقع غربي رفح اقتيد اليها الرجال العرب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥ و ٥٠ عاما حيث شدوا الى اعمدة خشبية بالحبال ثم طليت اجسادهم « بالزفت » واشعلت فيهم النيران ..

■ جريمة رفح ■

اما في رفح البلدة ، فلقد ارغم العدو حوالي ٥٠٠ شاب من سكان رفح بالتجمع في المدرسة الثانوية وفتحوا عليهم النيران .

■ جريمة خان يونس ■

وفي خان يونس اعتقل الصهاينة ١٨٠٠ شاب عربي واعروهم بان يحفروا قبورهم بايديهم وعندما انتهت عملية الحفر اطلقت نيران المدافع الرشاشة عليهم ودفنوا في القبور التي حفروها بايديهم .

■ جريمة النجيلة ■

اعدم الجيش الصهيوني في النجيلة ٧٦ اسيرا وذلك بشتهم حتى الموت في الساحة العامة امام جميع السكان .

من خلال هذا النهر من الدماء الذي سال على ارض قطاعنا الباسل استمرت المقاومة ضد الصهاينة بمزيد من العنف .

وبانتهاء الاحتلال وانسحاب آخر جندي اسرائيلي عن ارض القطاع العربية استمر المناضلون الفلسطينيون في القيام بعملياتهم ضد مستعمرات العدو ، وبدأ العمل المسلح يأخذ طابعا تنظيميا مخلفا معتمدا على التنظيم السياسي كاساس للتنظيم العسكري الفاتل .

وفي هذه الفترة امتد هذا العمل التنظيمي ليشمل التجمعات الفلسطينية المواجدة في سوريا ولبنان والاردن .

الفترة ما بين ١٩٥٧ – ١٩٦٧

بانسحاب الاسرائيليين من غزة في آذار ١٩٥٧ عادت الادارة المصرية للقطاع ودخل عامل جديد على الادارة المصرية وهو وجود قوات الطوارىء الدولية التي تشكلت اثر العدوان الثلاثي من اجل اعطاء الحماية الدولية لاتفاقية الانسحاب وعدم الاعتداء .

بعودة الادارة المصرية للقطاع عادت عجلة الانتاج للعمل ، وازدادت فرص العمل في القطاع نتيجة للتوسع في الزراعة والمشاريع الصناعية الصغيرة والتجارة الحرة ووجود قوات الطوارىء الدولية .

ولقد ساد القطاع خلال فترة العشر سنوات (٥٧ – ٦٧) جو من الازدهار الاقتصادي ، وارتفع مستوى المعيشة نسبيا ، ومع ذلك فان المشاريع التي جرى بناؤها لم تكن لتلبية طموح بنطاق واسع .

الزراعة

توسع القطاع الزراعي في قطاع غزة وازدهر بذلك الارض المزروعة وتطورت الاساليب الزراعية بادخال الالبات مما جعل الانتاج اكثر وفرة وجودة من الجودة افضل .

ولقد ادى هذا التوسع الى استيعاب عدد اكبر من اليد العاملة للعمل في المزارع والبساتين ومصر (٣٠٤٠٠) بشكل خاص من اجل تسويق منتجاته الزراعية والحصفية منها بصورة اساسية .

الصناعة

توسعت الصناعات الخفيفة توسعا كبيرا معتمدة على الاسواق العربية وخاصة مصر وعلى الاسواق الخارجية من اجل تسويق منتجاتها . نتاج هذا مزيد من الطلب على اليد العاملة وارتفاع الدخل للقطاع مما رفع المستوى المعيشي للسكان نسبيا .

تركزت هذه الصناعات الخفيفة على الصناعات التالية :

١ – الميكانيك
٢ – الاثاث الخشبي
٣ – حياكة السجاد
٤ – الغزل والنسيج
٥ – صناعات معدنية
٦ – الصناعات الخزفية
٧ – صناعة الاحذية .

ولقد نتج عن :هذا التوسع في حقل الصناعة مزيد من الاستيعاب لليد العاملة ، فبلغ عدد الصناعيين حتى عام ١٩٦٧ ما يقارب الاربعة الاف عامل مقابل ما يقارب ١٨٠٠٠٠ عامل زراعي .

صيد الاسماك

نشطت حركة الصيد خلال هذه الفترة لتلبي ما يكفي الاسواق المحلية ولتصدر كميات من الصيد البحري لاسواق مصر . ونتيجة لهذا النشاط ازداد الطلب على اليد العاملة .

الموظفون والمعلمون

عمل في غزة عدد كبير من الموظفين في الهيئة الادارة المصرية . وكذلك في فرع وكالة الغوث الدولية وقوات الطوارىء الدولية .

يشكل المعلمون في المدارس الابتدائية والثانوية عددا لا باس به من المثقفين .

وقد اعترف الاسرائيليون بعد الاحتلال ان عدد المعلمين انخفض بنسبة ٤٠٪ .

هزيمة حزيران ١٩٦٧

تلقى قطاع غزة الصدمة الاولى للهجوم الاسرائيلي على الاراضي العربية صبيحة يوم الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ولقد قاوم ابناء غزة الغزو الصهيوني مقاومة الابطال كبد العدو خسائر فادحة في الارواح والمعدات ، كانت سلاح العدو الرئيسي في الهجوم على القطاع وسيناء .

وخلال اجتياح القوات الاسرائيلية لقطاع غزة وما تلاه من احتلال ، قامت السلطات الصهيونية بتطويقها بقوات كبيرة من الجنود والاليات وفرض نظام منع التجول لمدد طويلة حتى تضطر السكان للاستسلام نتيجة الجوع والعطش . ولقد حرم اللاجئون خلال هذه الفترات من الخدمات والمؤن التي تقدمها لهم وكالة الغوث الدولية (التي لم تحتج على ذلك) .

ومثال على ذلك ما جرى لمخيم الشاطيء الذي حوصر وفرض عليه منع التجول لمدة ٣٦ ساعة متواصلة يوم ٣١ تموز ، واعيدت الكرة على هذا المخيم بين ٩ و ١٤ كانون الثاني ١٩٦٨ ولمدة ستة ايام متتالية .

اثر الاحتلال الصهيوني على الوضع الاقتصادي

سبب الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة تعطل عجلة الانتاج لمدة طويلة مما نتج عنه انتشار البطالة وكساد التجارة وخسارة فادحة في القطاع الزراعي وقطاع الخدمات العامة والسياحة .

أ – فبوجود المحتلين الصهاينة توقفت مؤسسات الادارة المصرية عن العمل معطلة بذلك الكثير من الموظفين الذين تمت اعادة البعض منهم فيما بعد للعمل في الدوائر تحت اشراف سلطات الاحتلال، ولقد سببت بطالة الموظفين هؤلاء تجويع عدد كبير من العائلات .

ب – عنى الوجود الصهيوني توقف حركة التجارة بين غزة القطاع وبين الجمهورية العربية المتحدة السوق الرئيسية لمنتجات غزة وفقدت بذلك غزة امتيازاتها كشكل من اشكال السوق الحرة للبضائع احد العوامل الرئيسية في انعاش القطاع في الفترة بين ١٩٥٧ و ١٩٦٧ .

ج – منعت اسرائيل استراد البضائع الاجنبية وحولت طلبات الاستراد للدوائر الاسرائيلية لتحل البضائع الصهيونية محل البضائع الاخرى مستغلة بذلك القطاع كسوق لمنتجاتها الصناعية وحتى الزراعية .

د – ساهمت وكالة الغوث في تفشي البطالة وتجويع المواطنين برفضها تشغيل عمال جدد .

■ الزراعة

اما بالنسبة للقطاع الزراعي ، فقد فرضت سلطات الاحتلال الضرائب الباهظة على المنتجات الزراعية المعدة للتصدير مما جعل تصدير المنتجات الزراعية غير مجدي .

وتعمدت السلطات الاسرائيلية ضرب مشاريع زراعة الحمضيات وذلك بقلع كثير من الاشجار الحمضية بحجة شق الطرق وكذلك بنسف « مونورات » المياه التي تزود المزارع بالمياه بحجة اختباء الفدائيين في بيارات البرتقال ولقد قام العدو بحرق عدد من بيارات البرتقال تحت نفس الحجة .

■ ونتيجة لجو الارهاب الذي فرضته سلطات الاحتلال الصهيوني اصبح من عادة المحال التجارية الاقفال الباكر . فساعات العمل اصبحت ساعات الصباح فقط وعندما تشر الساعة الى الثالثة بعد الظهر يبدو القطاع وكانه مقفر تماما وجاء هذا بعد ان نسف العدو عدة محال تجارية او احرقها بعد نهبها بحجة انتساب اصحابها لحركة المقاومة او التعاون معها .

اما بالنسبة للبد العاملة فقد نفشت البطالة نتيجة كساد اقتصادات القطاع، ونتيجة للارهاب والبطش والاعتقال الكفي اصبح العمال يتردون في الذهاب للعمل في البيارات القريبة ، وخاصة سكان المخيمات . اذ تكونوا عرضة للاعتقال

اسرائيل « المنقذة »

ابعت السلطات الصهيونية عدة اساليب ووسائل بهدف السيطرة على القطاع اقتصاديا من اجل الربح المالي وامتصاص النقمة واستراد اليد العاملة الرخيصة وربط اقتصاد القطاع نهائيا بعجلة الاقتصاد الاسرائيلية .

ويكون من المخطئين اشد الخطأ الذين يظنون ان اسرائيل ستقبل بالانسحاب من القطاع الملتهب واكبر شهادة قيلت في هذا المجال ما صرحت به غولدا مائير لصحيفه « الاكسبرس » الفرنسية في آب ١٩٧٠ عندما قالت موجهه كلامها الى المراسل :

« هل نظن اننا نستثمر الملايين في غزة من اجل تركها فيما بعد ؟ سنبقى في غزة مهما كان الثمن لانها جد حيوية بالنسبة لنا ، لن يكون هنالك حدود اقتصادية بيننا وبين غزة ولن تعود غزة لكون بندقية مصوبة الى رؤوسنا » .

وسوف نستعرض هنا بشكل سريع بعض الاساليب الاسرائيلية التي استعملت من اجل تحقيق هذه الاهداف :

١ – فتح مكاتب العمل العديدة في جميع انحاء القطاع

استعمل العدو الصهيوني تفشي البطالة بين سكان المدن والقرى والمخيمات وانشأ عدة مكاتب عمل وطلب من الراغبين في العمل التوجه لهذه المكاتب لتسجيل اسمائهم ، ولكن العمال العرب اكتشفوا بعد فترة ان هدف هذه المكاتب هو تصدير اليد العاملة الرخيصة لاسرائيل اولا (ليحلوا محل الجنود الاسرائيليين الاحتياطيين في المصانع) ومن اجل امتصاص النقمة التي سببتها البطالة ثانيا .

ولقد حاولت هذه المكاتب اغراء العمال العرب بالانتساب لمقبورة الهستدروت بواسطة المكاتب نفسها او بواسطة المتعهدين . وان كل من ينتسب للهستدروت يصبح له نفس حقوق العامل الاسرائيلي ..

٢ – سياسة القروض

عدت السلطات الاسرائيلية المجالس القروية والبلدية بالقروض المالية من اجل القيام بمشاريع ذات طابع الخدمات العامة وتركزت معظمها حول مشاريع انشاء الطرق واصلاح الخط الحديدي، هذه المشاريع التي تخدم خطوط مواصلات العدو وعندما عجزت هذه المجالس عن تسديد القروض وضعت السلطات الاسرائيلية يدها على نتاج المناطق الزراعية لاستيفاء القروض . تم ذلك بعد فرض الحصار الخانق على الصادرات الحمضية (٢٠ فرشا على كل صندوق برتقال) .

٣ – سياسة الاستثمار من اجل الاستغلال

قامت السلطات العسكرية بتشجيع الاستثمار في قطاع غزة فانشات الشركات الجديدة واعطيت وكالات لاستراد المنتجات الاسرائيلية لتسوقها في القطاع (مثل شركة شرعون واكست ، شركة مواد البناء الاسرائيلية ، مصنع الشمع بجوار المطار) .

وبكلمة اخرى جندت السلطات الصهيونة كل جهودها من اجل :

– مفرخ القطاع من جزء كبير من سكانه .
– السيطرة الاقتصادية على القطاع .
– استغلال القطاع ورطه بالعجلة الاسرائيلة

حتى يتم ضم القطاع نهائيا .

واذا علمنا ان اعلى سلطة في الاراضي المحتلة هي سلطة الحكم العسكري ، نجد ان اسرائيل قد جندت الدائرة الاقتصادية ودائرة الخدمات من اجل تنفيذ سياسة الحكم العسكري في المناطق ، ولقد بلغ ميزانية اسرائيل للاستثمار في الاراضي المحتلة عام ٧٠/٦٩ : ١٩٢ مليون لرة وزعت كما يلي : ٩٠ مليون لرة اسرائيلة للضفة الغربية و ٥٣ مليون لرة اسرائيلية لغزة .

وذهب معظم هذه المبالغ لدفع معاشات الموظفين او لاستثمارها في مشاريع اقتصادية او مشاريع خدمات تخدم المصالح الصهيونية في الاراضي المحتلة .

المقاومة ودورها في افشال المخططات الصهيونية

لقد لعبت المقاومة الفلسطينية دورا اساسيا وهاما في افشال مخططات العدو الصهيوني لربط القطاع اقتصاديا باسرائيل واستغلاله واستغلال جماهيره . ففي اثر انشاء مكاتب العمل وزعت حركة المقاومة (الجبهه الشعبية بالتحديد) بيانات عديدة تشرح للمواطنين ما الهدف من وراء انشاء هذه المكاتب واكدت على ان العامل العربي الذي يذهب ليعمل في المصنع الاسرائيلي انما هو يتعاون مع العدو ، لانه يحل محل عامل اسرائيلي تجنده اسرائيل للقتال ضد الشعب العربي .

ونتيجة لحملة التوعية هذه انخفض عدد العمال العرب العاملين في فلسطين المحتلة (١٩٤٨) انخفاضا كبيرا (من ٦٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ في اواسط عام ١٩٧٠) .

ولتفشي على هذه الظاهرة الخطرة (ظاهرة العمل في المصانع الاسرائيلية) قضاءا تاما قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعدة هجمات مسلحة على مكاتب العمل الاسرائيلية في القطاع ودمرتها ، واتبعت اسلوب الاتصال المباشر بالعمال .

فلقد اوقف الفدائيون الحافلات التي تحمل العمال لداخل الارض المحتلة (١٩٤٨) وخاطبوا العمال مباشرة شارحين لهم خطورة ما يقومون به.

لماذا غزة ؟

« قطاع غزة الذي يقطنه ٣٧٠٤٠٠٠ معظمهم من اللاجئين هو مسرح لهجمات يومية من قبل الوطنيين . لقد شكلوا حلاما يقضي الاسرائيليون ونهمم في محاولة تحطيمها ولكن محاولاتهم هذه تبدو وكانها بلا نهاية لان السكان كثيرون لدرجة انهم اصبحوا وكانهم ادخال القطاع التي تحمي الوطنيين »

هذا الوصف كتبته صحيفة « لوموند » الفرنسية في تموز ١٩٧٠ بعبر عما يدور في غزة ، فرغم المحاولات الاسرائيلية الكثيرة والمستمرة للقضاء على العمل الفدائي في غزة فقد فشلت في ذلك فشلا ذريعا .

لقد اعلن الحكم العسكري مرارا، تر الغاء القبض على مجموعة من القادمين انهم (اي العصابة) استطاعوا القضاء على المقاومة